مجلة جامعة الملك سعود، م٢٥، *اللغات والترجمة* (عدد خاص)، ص ص ٧٩-٩٩، الرياض (٢٠١٣م/١٤٣٤هـ)

قراءة في الترجمة الإسبانية الثانية لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم

خميّس الجويني

استاذ مشارك، جامعة الملك سعود، جامعة منوبة
قسم اللغات الحديثة والترجمة، برنامج اللغة الإسبانية
khemais_jouini@yahoo.es

(قدم للنشر في ١٤٣٤/٠١/٠٣هـ؛ وقبل في ١٤٣٤/٥/١٦ هـ)

الكلمات المفتاحية: "طوق الحمامة"، ابن حزم، الترجمة الإسبانية الثانية، تحليل، اجراءات، قرارات، تأثير، عملية الترجمة

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى دراسة ترجمة كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي من خلال تحليل الإجراءات التي اتبعها المترجم والتعرف عما اتخذه من قرارات تتعلق باحتمالات المعاني المتعددة للنص الأصل وبالبدائل المتاحة للتعبير عن هذه المعاني وتأثيراتها على عملية الترجمة ككل. يقدم القسم الأول العمل المنقول ويعرض لمختلف الظروف التي أحاطت بعملية الترجمة. وفي القسم الثاني نتطرق للحديث عن حسن اختيار العمل الأصل لكونه نموذجا للتمازج الثقافي والفكري بين الحضارة العربية الإسلامية والغربية الإسبانية. وفي القسم الثالث ندرس انطلاقا من هذه الترجمة ظاهرة تعدد ترجمات النص الواحد. ويهتم القسم الرابع بدراسة حواشي الترجمة من حيث أنها المساحة التي يمكن من خلالها استكشاف شخصية المترجم واختبار مدى موضوعيته وحياديته في التعامل مع النص المطروح. ويهتم القسم الأخير بتحليل مضمون الترجمة من حيث الإجراءات والقرارات التي اتخذها المترجم في منهجية العمل من خلال المقارنة بين النص الأصلي والنص المترجم.

مقدمة

تعود أولى الترجمات من اللغة العربية في شبه الجزيرة الإيبيرية إلى القرن الثاني عشر ميلادي عندما أسّس العالم اللاهوتي ورئيس أساقفة مدينة طُليطِلة ريموندو لوليو (Raimundo Lulio) ديوانا للترجمة مهمته نقل أمهات الكتب الفلسفية والدينية من العربية إلى اللاتينية. وخلال القرن الثالث عشر قام الملك ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم (Alfonso X el

Sabio) بتأسيس مدرسة طُليطِلة للترجمة تولى فيها عدة مترجمين نقل ودراسة مختلف العلوم العربية من علم الفلك ورياضيات وعلوم طبيعية وكيمياء وفلسفة مباشرة من اللغة العربية إلى لغة الرومانث (romance) وهي الإسبانية البدائية. تواصلت حركة الترجمة هذه خلال القرون الوسطى نظرا للتواجد العربي الإسلامي حتى حملة الطرد التي انطلقت منذ ١٤٩٢ لتبلغ أوجها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي[١] وقد لعب الموريسكيون خلال هذه الفترة دورا طلائعيا في نقل آثار مهمة من العربية إلى الإسبانية، وقد برز من بينهم ألونسو ديل كاستيو (Alonso del Castillo) وميغال دي لونا (Miguel de Luna).

ولكن لم تتطور الدراسات العربية في إسبانيا كتخصص أكاديمي إلا مع بداية القرن التاسع عشر، حيث اتجه الاهتمام نحو التراث العربي وخاصة الأندلسي من خلال تحقيق وترجمة كثير من المؤلفات المهمة كاد يلفها النسيان لو لا الجهود التي بذلها من يُعتبر من مؤسسي الاستعراب الإسباني المعاصر من قبيل "باسكوال دي غاينغوس" (Pascual de Gayangos) و"فرانثيسكو كوديرا" (Francisco Codera) و"خوليان ريبيرا" (Julián Ribera) و"ميغال أسين بلاثيوس"(Miguel Asín Palacios). وخلال القرن العشرين اتسعت حركة الترجمة من العربية إلى الإسبانية خاصة بعد أن أسّس من يُعد وريث المستعربين[٢] السابقين "أميليو غارثيا غوميث" (Emilio García Gómez) في العام ١٩٥٤ "المعهد الإسباني العربي للثقافة" والذي فتح الباب لأجيال جديدة من المستعربين أولوا اهتماما أكثر بالأدب العربي الحديث، لتتواصل الجهود إلى يومنا هذا مع باحثين من أمثال بيدرو مارتينث مونتابث (Pedro Martínez Montávez) ومارثلينو بياغاس(Marcelino Villegas وماريا خيسوس بيغيرا (María Jesús Viguera)، دون أن نغفل بطبيعة الحال الجهود التي يقوم بها بعض الباحثين والمترجمين من العالم العربي.

وتندرج هذه الترجمة الثانية لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي ضمن هذا الجهد المتواصل منذ القرن الثاني عشر ميلادي لنقل أمهات

---

[١] في التاسع من شهر أبريل من العام ١٦٠٩ أصدر الملك فيليب الثالث مرسوما ملكيا بموجبه يجب على الموريسكيين (وهم أحفاد السكان المسلمين الذين تم تحويلهم قسرا إلى المسيحية بعد سقوط آخر الممالك الإسلامية بموجب مرسوم الملوك الكاثوليك في ١٤ فبراير ١٥٠٢، وعاشوا تحت الحكم المسيحي إلى غاية الطرد النهائي) مغادرة كافة الأراضي الإسبانية دون رجعة. من أجل معلومات أكثر استفاضة حول الموريسكيّين نحيل على كتاب لويس كارديك (١٩٨٨).

[٢] "يرفض الكثير من الإسبان المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية نعتهم بالمستشرقين ويفضلون بدلها كلمة "الاستعراب" (المستعربون) (Arabistas) لأن الدراسات التي بدأت في إسبانيا وازدهرت منذ وقت طويل كانت دراسات عربية. ولأن هؤلاء المستعربين "نذروا حياتهم لدراسة اللغة العربية وآدابها وحضارة المسلمين وعلومهم في شبه الجزيرة الإيبيرية بصفة خاصة دون أن يهتموا بلغات شرقية أخرى". انظر القاضي (٢٠٠٦).

الكتب من اللغة العربية إلى الإسبانية. وقد أنجز الترجمة الإسبانية الأولى لكتاب "طوق الحمامة" "أميليو غارثيا غوميث" (Emilio García Gómez)، وقدم لها الفيلسوف الإسباني الشهير أورتيغا إي غاسيت (Ortega y Gasset)، وصدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٥٢. وقد عرض غارثيا غوميث في مقدمته للأحداث البارزة في حياة ابن حزم، ثم حلّل "طوق الحمامة" وطابعه الشخصي وما أثاره ويثيره من نقاش حول ذاتية المؤلف وصدقه الأدبي. كما أشار إلى مفهوم الحب في "طوق الحمامة" وتتبّع أثره في كتب العشق والعشاق العربية وعلق على اشكالية التأثير الذي تركه في الأدب الإسباني من عدمه. وأنهى مقدمته بالحديث عن اهتمامه بكتاب ابن حزم منذ مرحلته الجامعية وعن رأيه في مختلف ترجمات "طوق الحمامة" إلى لغات أوروبية أخرى.

وفي هذه القراءة لترجمة كتاب ابن حزم لا يسعى البحث إلى مقارنة هاتين الترجمتين بل إلى دراسة ونقد الترجمة الثانية فقط من خلال تحليل الإجراءات التي اتبعها المترجم والتعرف عما اتخذه من قرارات تتعلق باحتمالات المعاني المتعددة للنص الأصل وبالبدائل المتاحة للتعبير عن هذه المعاني وتأثيرها على عملية الترجمة ككل. وقد يكون هذا البحث منطلقا لدراسة مقارنة بين الترجمة الأولى والثانية لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي إلى اللغة الإسبانية.

ينقسم البحث إلى خمسة أقسام. يقدم القسم الأول العمل المنقول ويعرض لمختلف الظروف التي أحاطت بعملية الترجمة. وفي القسم الثاني نتطرق للحديث عن حسن اختيار العمل الأصل نظرا للأثر العميق الذي تركه في الأدب الإسباني ولكونه نموذجا للتمازج الثقافي والفكري بين الحضارة العربية الإسلامية والغربية الإسبانية. وفي القسم الثالث ندرس انطلاقا من هذه الترجمة ظاهرة تعدد ترجمات النص الواحد وهي ظاهرة استرعت انتباه المتخصصين بين مؤيد لها ومعارض. ويلقي القسم الرابع الضوء على الشكل الذي تم به تقديم النص المترجم ويركز على دراسة وتحليل وتصنيف حواشي الترجمة من حيث أنها المساحة التي يمكن من خلالها التعرف على المواضع التي تصعب ترجمتها واستكشاف شخصية المترجم واختبار مدى موضوعيته وحياديته في التعامل مع النص المطروح. ويهتم القسم الأخير بدراسة مضمون الترجمة من حيث الإجراءات والقرارات التي اتخذها المترجم في منهجية العمل من خلال المقارنة بين النص الأصلي والنص المترجَم.

تقديم العمل المنقول

صدرت بمدريد عن دار هيبريون (Hiperión) الترجمة الثانية إلى اللغة الإسبانية لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، نقلها إلى الإسبانية

المترجم "خايمي سانتشيث راتيا" (Jaime Sánchez Ratia). ويتكون العمل من ٤٨٨ صفحة من القطع المتوسط وقد اشتمل على مقدمة عامة من ٣٨ صفحة وخمسة عشر جزءا. وفيها يعرض المترجم إلى مختلف أعمال التحقيق لـ"طوق الحمامة" انطلاقا من النسخة الوحيدة الموجودة في جامعة "ليدن" بهولندا، وإلى ترجمته إلى عدة لغات، منها الإنجليزية (١٩٣١م) والروسية (١٩٣٣م) والألمانية (١٩٤١م) والإيطالية (١٩٤٩م) والفرنسية (١٩٩٢م). هذه السلسلة من الترجمات كما يشير الطاهر أحمد مكي (١٩٧٧م، ص ١٣٧) "تؤكد الاهتمام الذي أثاره الكتاب في عصرنا خارج دائرة المستشرقين والعاكفين على الدراسات".

وفي معرض حديثه عن الترجمة الأولى لـ"طوق الحمامة" إلى اللغة الإسبانية التي أنجزها المستعرب الإسباني "أميليو غارثيا غوميث" أثنى على المجهود الذي بذله في إنجاز عمله وأشار إلى الصعوبات التي لاقاها من قبل الرقابة إبان حكم "فرانثيسكو فرانكو" (Francisco Franco). وتطرق في هذه المقدمة إلى عنوان الكتاب والمعنى الذي أراد أن يعطيه إياه ابن حزم. كما عرض التأثيرات الأدبية وقراءات المؤلف من خلال "طوق الحمامة"، وبيّن مفهوم الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه. وأشار إلى صعوبة ترجمة الشعر من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية، حيث ضم"طوق الحمامة" حوالي مائتي قصيدة.

وفي مقدمة أخرى من خمس صفحات، وهي عبارة عن توطئة حول النص الأصل، أشار المترجم إلى مختلف التحقيقات التي اعتمدها في تحقيق النص العربي وإلى ملاحظات ومقترحات مستشرقين مقتدرين من أمثال Lévi-Provençal وMarçais وGoldziher وGarcía Gómez وبيَن الطريقة التي اتبعها في الترجمة حيث اعتمد على الترجمات السابقة لـ"طوق الحمامة" ومنها الترجمة الإسبانية للمستعرب الإسباني أميليو غارثيا غوميث. واعتبر المترجم عمله خطوة أولى نحو التحقيق والترجمة في آن، إذ ورد النص الأصلي في صفحات موازية لنص الترجمة مذيّلا بحوالي ثمانمائة من الحواشي والتعليقات والشروح يقارن فيها اختياراته في تحقيق النص الأصل مع تحقيقات سابقة. كما ذيّل النص المترجَم بحوالي ستمائة من الحواشي والتعليقات إما لتبرير خيار ترجمي أو لتوضيح مفردة أو للتعريف بشخصية أو بحدث تاريخي كما سنرى ذلك لاحقا.

ومن جانب آخر أشار المترجم إلى طريقة نسخ أسماء الأعلام والأماكن ونقلها إلى اللغة العربية فعمد إلى النسخ الصوتي البسيط داخل النص المترجم والنسخ الأكاديمي المعتمد من قبل مدارس الاستشراق في إسبانيا في الحواشي والإحالات، مبررا ذلك بتسهيل الأمر على القارئ العادي غير

المتخصص. وفي ما يلي ذلك جاء النص والترجمة في صفحات متوازية، واختتم المترجم عمله بثبت لأهم المراجع التي استخدمها وبكشاف لأسماء الأعلام والأماكن التي وردت في "طوق الحمامة".

أهمية اختيار العمل الأصل وتأثيره في الأدب الإسباني

وُصف كتاب "طوق الحمامة" لمؤلفه ابن حزم الأندلسي بأنه أدق ما كتبه العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه[٣]. و قد حاول ابن حزم دراسة حالات الحب العربي وخصوصيته في ثلاثين باباً، ودعم أفكاره بحكايات سمعها أو عاشها، واختار لها نماذج مناسبة من شعره. ويتناول الكتاب بالبحث وبأسلوب قصصي هذا الموضوع من منظور إنساني وعلى قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة. ويشير زكريا ابراهيم (١٩٦٦، ص ٢٣٢) في هذا الصدد أن ابن حزم ولئن كان "قد تناول موضوع الحب من وجهة نظر الأديب، والشاعر، والمؤرخ، أكثر مما تناوله من وجهة نظر الفيلسوف والمحلل والباحث النفساني، إلا أن من المؤكد مع ذلك أننا نلتقي في تضاعيف دراسته للحب بالكثير من الملاحظات النفسية الدقيقة، والآراء الفلسفية العميقة". وبهذا يعتبر "طوق الحمامة"، بإجماع الدارسين والباحثين، أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب وتتبع أطواره وحلل عناصره.

لقد جاءت هذه الترجمة كإسهام حضاري مهم في نقل الثقافة العربية. ولعلّ من المفيد الإشارة إلى أنّ ترجمة النص الأدبي تتطلب سعة الخيال و دقة التعبير، وحسن التحكم في اللّغتين، ومدى الإلمام بجناسهما واشتقاقاتهما، واختلاف تراكيبهما وبنائهما. ويتفق العاملون في حقل الترجمة الأدبية على وجود عدة إشكالات خاصة بهذا النوع من الترجمة. وتنبع بعضها من التناقض الحاصل بين المثل الأعلى في الترجمة في نقل الصورة من لغة إلى أخرى دون تغيير وبين الحقيقة الثابتة التي ترى أن الاختلافات بين اللغات تقف عائقا في طريق تحقيق الترجمة الكاملة المثالية. وبذلك تصبح مهمة الترجمة هي تجاوز هذه الصعوبات والعوائق ليُحدث النص

---

[٣] يؤكد زكريا ابراهيم (١٩٦٦، ص ٢٣٢) أنه "ولئن كان ابن حزم ليس أول من كتب في الحب من أدباء العرب (فقد سبقه إلى ذلك إخوان الصفا في بعض رسائلهم، وابن المقفع في "الأدب الكبير والأدب الصغير"، والجاحظ في الرسالة السابعة – من مجموع رسائله – في العشق والنساء)، إلا أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه، وتسلسل أفكاره، وترابط بحثه، ورقة حسّه وبعد غوصه". ويخصّص الطاهر أحمد مكي (١٩٧٧، ص ص٢٦٧-٢٩٥) في كتابه فصلا كاملا بعنوان "مؤلفات في الحب سبقت طوق الحمامة" للحديث عن هذه المؤلفات وغيرها التي عرضت لموضوع الحب قبل ابن حزم. ويخصّص فصلا آخر (٣١٩-٣٤١) تحت عنوان "آخرون كتبوا في الحب بعد ابن حزم" للحديث عن الكُتاب الذين ترك ابن حزم فيهم أثره.

المترجَم نفس الأثر الذي يحدثه النص المصدر لدى متلقيه في لغته الأصلية.

وهكذا تكون عملية الترجمة ليس مجرد نقل آلي من لغة إلى أخرى بل عملية إبداعية يشترك فيها المترجم مع باقي المبدعين، بل هي أكثر صعوبة عندما يتعلق الأمر بأثر كلاسيكي ينتقل بين لغتين متباعدتين ثقافيا. ويبدأ إبداع المترجم باختيار النص الأدبي للترجمة، وعملية الاختيار في هذه الحال لا يمكن أن تكون اعتباطية. وفي هذه الترجمة برّر المترجم اختياره لـ"طوق الحمامة" لكونه أثرا أدبيا متعدد المعاني والمقاصد ونموذجا للتمازج الثقافي والفكري بين الحضارة العربية الإسلامية والغربية الإسبانية (ص XXXVII).

لقد وجد ابن حزم سبيله إلى الآداب العالمية عن طريق اللقاح الفكري بين الأدبين العربي والإسباني، ووصل إلى مدن فرنسا ومنها إلى بقية أرجاء أوروبا. كانت مقاطعة بروفانس في جنوب فرنسا أولى الإقطاعيات ازدهاراً، وكانت لغتها البروفانسية أشهر اللغات الرومانثية، وموقعها الجغرافي جعل منها نقطة اتصال حضاري لا بين لغات الرومانث أو الشعوب اللاتينية فحسب، وإنما بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية أيضاً. فقد كانت على حافة الأندلس الإسلامي وشهدت أول ازدهار أدبي لا يتخذ اللاتينية لغة له. وشغل هذا الازدهار قرنين كاملين في تاريخها، من مطلع القرن العاشر حتى عام ١٢١٠، وكانت تدين في ذلك لطائفة من الشعراء دخلوا التاريخ تحت اسم التروبادور (Trovador)، وتؤكد لوثي لوبيث بارالت (٢٠٠٠م، ص ٧٨) "أن قوة التأثير الإسلامي على الأشعار القديمة المؤسسة للهوية الإسبانية لا يمكن نفيها".

ويُعتبر الراهب الإسباني خوان أندريس (Juan Andrés) أول من أشار إلى الأثر العربي في الثقافة الإسبانية خاصة والأوروبية عامة. فقد ألف كتاباً عن أصول الأدب عامة وتطوراته وحالته الراهنة باللغة الإيطالية ونشره في سبعة مجلدات، وذلك بين سنتي ١٧٨٢ و ١٧٩٩ وترجمه إلى الإسبانية تحت عنوان Origen, progresos y estado actual de toda la Literatura بين سنتي ١٧٨٤م و ١٨٠٦م. وقد فجر فيه الكثير من القضايا الأدبية والفكرية والتاريخية وأعلن أن كل ما بلغته أوروبا من نهضة في العلوم والفنون والآداب إنما كان بفضل ما تلقته من العرب عن طريق الأندلس وصقلية الإسلاميتين. وتؤكد غوميث ريناو (Gómez Renau) (٢٠٠٠م، ص ٣٢٤) أن "إسبانيا كانت تفتقر خلال القرن الثالث عشر إلى وحدة لغوية حيث كان الناس يتحدثون لغة الرومانث الأولية (romance incipiente) ويكتبون باللغة اللاتينية. وبعد بضع سنوات من ترجمة كتاب "كليلة ودمنة" إلى اللغة القشتالية تأسست في طليطلة مدرسة ألفونسو العاشر الحكيم (Alfonso X el Sabio) حيث بلغت أوجها دراسة وترجمة العلوم

العربية وعلم الفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة".

وثمة عامل ديني كان وراء اهتمام سكان بروفانس بالأندلس، وهو توافدهم سنوياً في أعداد كبيرة حُجاجاً إلى كتدرائية سانتياغو دي كومبوستيلا (Santiago de Compostela) في الشمال الغربي من شبه الجزيرة، لأنها تضم رفات القديس يعقوب، وهم في غدوهم ورواحهم يلتقطون الأخبار، ويسمعون الإشاعات ويحملون ما يفتقدونه في بلادهم مادياً أو فكرياً.

لقد أصاب المترجم في اختياره حيث كان لـ"طوق الحمامة" الأثر الكبير في الثقافة والأدب الإسبانين، فقد كتب "خوان رويث" رئيس كهنة بلدة "هيتا" في إسبانيا (Juan Ruiz, El arcipreste de Hita) في القرن الرابع عشر ميلادي كتابه الموسوم بـ"كتاب الحب المحمود" (Libro de Buen Amor) متأثراً بكتاب ابن حزم في المضمون وفي طريقة التعبير والسرد وفي تنويع الشخصيات.

لقد أثار كتاب "طوق الحمامة" اهتمام النقاد فانكبّوا على دراسته دراسة فنية غنية في القرن العشرين. ولعل من أبرز دارسيه في مجال اللغة الإسبانية المفكر "أميريكو كاسترو" (Américo Castro) الذي بيّن في كتابه "الحقيقة التاريخية لإسبانيا" (1954) (La realidad histórica de España) الأثر العميق للوجود العربي الإسلامي ونماذجه الفنية ليس فقط في الآداب الإسبانية بل كذلك في تشكل الهوية الثقافية للإسبان، متخذا في ذلك تأثير "طوق الحمامة" لابن حزم في "كتاب الحب المحمود" لـ"خوان رويث" نموذجا ومثالا.

ووفقا لـ"أميريكو كاسترو" فإن "خوان رويث" رئيس كهنة بلدة "هيتا" في إسبانيا الذي عاش ما بين ١٢٩٥ و ١٣٣٣ كان على علم بكتاب ابن حزم، حيث يتجاوز الشبه بين "طوق الحمامة"

و"كتاب الحب المحمود" وتأثير الأول في الثاني موضوع الحب ذاته واختلاف أوجهه ومظاهره، والاعتماد على بعض التجارب الشخصية لسرد الأحداث، ليصل إلى بنية النص نفسها حيث يشترك العملان في المراوحة بين البنية الروائية والشعرية. وخلاصة الأمر، وحسب "أميريكو كاسترو" فإن "خوان رويث" لم يقم سوى بتقديم نظرة مسيحية لما تناوله ابن حزم في "طوق الحمامة".

ومن بين الأعمال الإسبانية الأخرى[٤] التي تأثرت بكتاب "طوق الحمامة" أو نقلت عنه أو استوحت منه أو سارت على هديه أو احتذت به أسلوبا يمكن أن نذكر مسرحية "لاثليستينا" (La Celestina) (١٥٠١) وهي مسرحية مأسوية منسوبة للكاتب فرناندو دي روخاس (Fernando de Rojas)

---

(٤) يخصّص الطاهر أحمد مكي (١٩٧٧، ص ص٣٤٢-٣٧٥) في كتابه المذكور سابقا فصلا كاملا تحت عنوان "تأثير طوق الحمامة في الأدب الإسباني" للحديث عن هذا الموضوع.

(ت ١٥٤١)، شأنها شأن "طوق الحمامة" و"كتاب الحب المحمود" اتخذت من الحياة العاطفية بين بطلي المسرحية كاليستو (Calisto) وماليبيا (Melibea) الحياة العاطفية والحب بمختلف صوره منطلقا ومحورا للتعبير عن مشكلات العصر الذي كُتبت فيه.

التعددية الترجمية

لقد بدا واضحا الجهد الذي بذله المترجم، وهو جهد لا يستهان به على الرغم من وجود ترجمة سابقة لـ"أميليو غارثيا غوميث" والتي عرفت العديد من الطبعات واستخدمها المترجم نفسه، إلى جانب ترجمات إلى لغات أخرى لترجيح البعض من اختياراته أو للثناء عليه في بعض ما وُفق إليه في الترجمة. وهذا ما يجعل القارئ العادي فضلا عن المتخصص يطمح إلى ترجمة راقية تضاهي النص الأصل في إبداعه.

لقد استرعت ظاهرة تعدد ترجمات النص الواحد انتباه المتخصصين بين مؤيد لها ومعارض. ويرى البعض أن الترجمات، الأدبية خصوصا، يجب تحيينها وتجديدها، تماشيا مع التطور اللغوي والثقافي للقارئ. وهناك من ذهب إلى حد إعطاء تاريخ معين لتجديد الترجمات، جزئيا أو كليا، في شكل مراجعة أو إعادة ترجمة بالمفهوم الكامل لهذه العملية حتى لو كانت هناك ترجمات جيدة. فها هو "ألبير بنسوسن" (Albert Bensoussan) (١٩٩٥م، ص ٣٧) يؤكد على أن "الترجمات، ولو أنها هشة، فإنها تشيخ بسرعة، بصفة عامة، قبل الأصل. ومن هنا فإنه يتعين على المترجم، دوريا، أن يعيد ترجماته الخاصة، أو السابقة، كل عشرين سنة". وهذا يتأتى من عدم قدرة الترجمة، والأدبية منها خاصة، على تحقيق الترجمة الكاملة المثلى رغم شمولها لكثير من الخصائص والسمات الجيّدة والمتميّزة، فالترجمة تمتلك حياة ذاتية مادامت لغتها مفهومة، ومع ذلك فستظل في حاجة إلى إعادة ترجمتها. وفي هذا الصدد يشير عبد السلام بنعبد العالي (٢٠٠٦م، ص ٤٠) إلى أنه "ليست هناك ولن تكون هناك، ترجمة واحدة للنص الواحد. وكل مقدم على الترجمة لا يجهل هذا الأمر. إنه يعرف مسبقا أن ترجمته ليست، ولن تكون، نسخة طبق الأصل، أي أن تكون ذات الآخر. ذلك أن الترجمة إذا سعت لتكون نهائية زاعمة أنها تضع نسخة طبق الأصل، فتجعل من اللغة المترجِمة مرآة تعكس النص الأصلي، فإنها تكون قد استعملت حالة معينة للغة، وحالة معينة للفكر، تلك الحالة التي لا بد وأن تتحول. فأداة الترجمة لغة حية ومرآتها لابد أن تنكسر، ومصير أعظم الترجمات وأكثرها إتقانا هو الزوال، وذلك بفعل نمو لغة الترجمة وتجددها."

وعلى النقيض من هذه الفكرة، يرى البعض الآخر أن الترجمات المتعددة متاشبهة وبالتالي فإن فائدتها ضئيلة. فبشير العيسوي (٢٠٠١م، ص ص

١٥- ١٧) مثلا ينكر الترجمة التعددية ويرفضها لأنه يعتقد أنها إضاعة للوقت وتبديد لجهود المترجمين، وبالتالي ليست هناك فائدة من ترجمة نص سبق أن تُرجم، إلا إذا كان هناك ما يبررها. وبالنسبة إليه فإن تبرير الترجمة في هذا المجال هو النص الأصل ذاته، أما الترجمات التي انبثقت عنه فإنها لا تشكل معيارا أساسيا. ولكن غالبا ما تنطلق عملية إعادة الترجمة من النسخة المترجمة من قَبل إلى نفس اللغة، وهكذا تصبح قراءة الترجمة هي المحفز للقيام بالترجمة وليس النص الأصل. وفي هذه الحالة تعمل الترجمة اللاحقة على هدي الترجمة السابقة، من خلال تجاوز النقائص التي تشوبها وإظهار الملامح التي لم تبرزها الترجمة السابقة. ومن هذا المنطلق علينا الإشارة إلى أن الترجمة اللاحقة لا يمكن اعتبارها ترجمة "صرفة" بل هي ترجمة "ترجيحية" تستغل المادة المترجمة السابقة فتختار الأصلح منها وترجح بينها. وبالتالي ومهما كان المستوى الذي بلغته الترجمة الأولى للنص الأصلي يبقى للمترجم شرف إنجاز العمل الأوّلي بما يتضمنه ذلك من جهد قد يوفره على المترجمين اللاحقين لنفس العمل.

ومهما يكن من أمر فإن التعددية الترجمية حقيقة واقعة، ويبدو أن طبيعة النص الأصل هي السبب الرئيسي في تعدد الترجمات، أو على الأقل هذا ما يؤكده محمد عبد الغني حسن (١٩٧٦، ص ١٧٥) الذي يرى أنه "وعلى قدر ما يكون في الأثر الأدبي والفكر من قيمته في لغته الأصلية، يكون الاهتمام بتعدد ترجمته إلى لغة واحدة، وبكثرة إقبال أهل اللغات الأخرى على ترجمته ونقله إلى لسانها حتى يكون لها حظ الظفر به". فالنص الأصلي يكون مفتوحا على التفاعل الحر للقارئ ولأنه يقوم على أساس الرمز فهو مفتوح على التأويلات كما يذهب إلى ذلك امبرطو إيكو (٢٠٠١م، ص ٤٠) حين يؤكد أن ما يستحق صفة المفتوح "هو الأثر الذي يؤلفه شخص واحد، والذي عبر التأويلات المختلفة يبقى بنية متجانسة ومحتفظا بشكل من الأشكال بهذا الطابع الفردي الذي يعطيه وجوده وقيمته ومعناه". فالنص الأصلي ما أن يُكتب حتى يدخل في دوامة التأويل اللامتناهية. فإذا كان النص الأصلي مفتوحا على قراءات متعددة ومختلفة فلِم لا تتعدد كذلك الترجمات من حيث أن كل ترجمة هي قراءة مختلفة حسب تأويل معين نتيجة لتأثر المترجم ببعض العوامل الثقافية والاجتماعية والدينية. وبهذا يعبّر تعدد الترجمات أيضا عن "تعدد في التفسيرات وفي طرائق الترجمة، ويقدم تنويعات وصيغا مختلفة وممكنة للنص الأدبي المترجم، ولهذا يمكن اعتباره عامل إثراء وتنوع. فالترجمات المتعددة ليست متطابقة من النواحي الدلالية والأسلوبية، وبالتالي فإن كلاً منها تقدم للقارئ شيئا لا يجده في الترجمات الأخرى" (عبود: ١٩٩٥م، ص ١٧٣).

وفي الحال التي تهمنا نجد أن التعددية الترجمية تجمع ما بين النقطتين اللتين تمت الإشارة إليهما، فهي قراءة جديدة لـ"طوق الحمامة" على ضوء تطور الدراسات "الطوقية" والتحقيقات الحديثة، لم تكن متاحة لصاحب الترجمة الأولى. وبهذا يمكننا اعتبار أن هذه الترجمة الثانية لـ"طوق الحمامة" تقوم بوظيفتين متكاملتين، الوظيفة النقدية والوظيفة التصحيحية للترجمة السابقة، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة. وقد برر المترجم عمله بأنه خطوة أولى نحو عمل يضم في نفس الوقت تحقيقا للنص الأصل وترجمته، إضافة إلى أنها تقدم في شكل مواز النص الأصل وترجمته، خلافا لترجمة "أميليو غارثيا غوميث" التي تقدم النص المترجَم فقط. إضافة إلى ذلك فقد حدد المترجم طبيعة المتلقي إذ يؤكد أن عمله موجه في نفس الوقت للقارئ العادي في اللغة الهدف وإلى من هم متعودون على اللغة العربية أو من هم متعمقون فيها. ولكن في الحالة الأولى فإن ما اعتبره خطوة أولى نحو تحقيق النص الأصل وترجمته تفقد أهميتها، فالقارئ الذي يجهل اللغة العربية لن يستفيد من المجهود الذي قام به من خلال كل ما يتعلق بتحقيق النص.

الترجمة شكلا

إن ميزة هذه الترجمة كما أشرنا سابقا أنها تقدم في شكل مواز النص الأصل وترجمته. وهي طريقة جيّدة تستعيد النص الأصلي وتسهّل على القارئ العارف باللغتين اقتفاء أثر الترجمة من خلال النص الأصل الموجود بين يديه، حتى وإن لم يكن هناك تطابق تام بين الصفحات في غالب الأحيان لأسباب خارجة عن نطاق المترجم. ففي معرض حديثه عن ظهور المنشورات مزدوجة اللغة يشير عبد السلام بنعبد العالي (٢٠٠٦، ص ٤١) إلى أنها "مؤلفات مرايا، مؤلفات تضع أمام قارئها، ومنذ البداية، النص وترجمته، الأصل ونسخته، وجها لوجه، معترفة بشفافية النسخة وإحالتها الضرورية الدائمة إلى النص الأصلي، طالبة من القارئ أن يتدخل ليفحص الترجمة ويولّد نصا ثالثا عن ارتباط هذين النصين واقترانهما وقرانهما".

ألحق المترجم بعمله مجموعة كبيرة من الحواشي والتعليقات تنمّ عن المجهود الكبير الذي بذله وعن اطلاعه على الثقافة العربية الإسلامية خلال فترة التواجد العربي بالأندلس (القرن الخامس هجري) والتي يعكسها "طوق الحمامة" وعلى مدى استيعابه لمضامين ومعاني العمل الأصل.

تكمن أهمية حواشي الترجمة في أنها تكاد تكون المساحة الوحيدة التي يمكن من خلالها استكشاف شخصية المترجم واختبار مدى موضوعيته وحياديته في التعامل مع النص المطروح. كما يمكن من خلالها التعرف على المواضع التي تصعب ترجمتها في النص. فكثيرا ما يقابل المترجم بعض الجمل أو

الكلمات التي يصعب أو يستحيل إيجاد مكافئ مناسب لها في اللغة الهدف. عندئذ يجتهد المترجم في إيجاد مقابل لها، ثم يضع حاشية أسفل الصفحة يبرر فيها ترجمته أو يضع ترجمة بديلة. ومن ثم فإن "حواشي الترجمة تسمح لنا بالتأمل ليس فقط حول صعوبة مهمة المترجم، وإنما أيضا حول قوانينها المعقدة" (دونايري: ١٩٩١م، ص ٧٩).

اهتم بعض الباحثين بمحاولة تصنيف حواشي الترجمة، ومن أهمها ما قام به كل من "بيتر نيومارك" (Peter Newmark) (١٩٩٥م، ص ص ١٢٩-١٣٠) الذي قام بتصنيف المعلومات الإضافية التي تظهر في الحواشي انطلاقا من طبيعتها إلى ثلاثة أقسام: حواشي ثقافية تتعلق بإيضاح الإختلافات الثقافية بين النص الأصلي والنص المترجم، وحواشي تقنية تتعلق بالموضوع، وحواشي لغوية تتعلق بإيضاح الإستخدام الشاذ للألفاظ، و"ماريا لويسا دونايري" (Mª Luisa Donaire) (١٩٩١م)، حيث قسّمت حواشي الترجمة انطلاقا من الموقف الذي يتبناه المترجم حينما يتخذ قراره بالتدخل، أي بإضافة حاشية. فهو إما أن يتدخل كقارئ، وإما أن يتدخل كمؤلِّف. فعندما يتدخل كقارئ يمد قارئه بما تسميه الباحثة "مفاتيح القراءة" (claves de lectura)، وعندما يتدخل كمؤلِّف يمد قارئه بما تسميه "مفاتيح الترجمة"(claves de traducción). وتقسم "دونايري" (١٩٩١م، ص ص ٨٣- ٩١) "مفاتيح القراءة" إلى ثلاثة أنواع وهو التصنيف عينه الذي اتبعه المترجم، حيث نجد أن الحواشي التي ذيّل بها ترجمة "طوق الحمامة" تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

<u>تدخلات موسوعية</u>، وهي الأكثر تواترا، وفيها معلومات إضافية غالبا ما تكون مُسهبة، لا تفيد القارئ في فهم النص ومن ثم فهي غير مُبرّرة وغير ضرورية، لأن الكاتب الأصلي لم يهتم بذكرها. ويدخل في هذا النوع من التدخلات تزويد القارئ بمعلومات وبيانات حول بعض الشخصيات الواردة في النص الأصل، وأخرى تتعلق بالعناصر التاريخية والمواقع الجغرافية والبيئية للفترة التي تدور فيها القصص والأخبار التي أوردها الكاتب في مؤلفه ويجهلها القارئ في اللغة الهدف. ويتبيّن من خلال هذه الحواشي أن ترجمة نص كنص ابن حزم تطلبت قدرًا لا بأس به من البحث التاريخي والاجتماعي، فلا يمكن فهم أبعاد هذا النص
دون التعمق في الواقع الاجتماعي للفترة التي وصفها المؤلف. ففي المثال التالي يبّين المترجم للقارئ معنى "المعلّقات" ويقدم تعريفا لأحد الشعراء العرب:

"فلما كثُر ذلك قلتُ على سبيل المزاح شعرا بديهيا ختمتُ كلَ بيتٍ منه بقسيم من أوّل قصيدة طَرفَة بن العبد المعلّقة..."

"... cuando aquello empezó a ser el pan de cada día, compuse, a guisa de humorada, un poema improvisado, en el que sellé cada medio verso de los míos con otros tantos primeros hemistiquios del comienzo de la casida mu'allaqa[2] de Tarafa ibn Al-Abd[3] ..." (211)

[2]. Las casidas mu'allaqat, en número de siete, según algunos, y de diez según otros, eran poemas preislámicos famosos, de milagrosa e inexplicable perfección, que, según la tradición, se colgaban (de ahí su nombre en árabe, las "colgadas") en los muros de la Kaaba en letras de oro. Según otra tradición, más verosímil, su nombre se explica por el hecho de que se comentaban profusamente (otro sentido de 'allaqa). Existe traducción española de Federico Corriente: Las mu'allaqat: Antología y panorama de la Arabia Preislámica. IHAC, Madrid, 1974, recientemente reeditada en Hiperión.

[3]. Poeta preislámico del siglo VI, autor de una famosa mu'allaqa.

ويمكننا القول أن معيار تحديد هذا النوع من التدخلات هو كونها أمورا تميّز قارئ النص المترجَم عن قارئ النص الأصلي. فقارئ النص الأصلي قد لا يعرفها، بينما يوفّر المترجِم على قارئه عناء البحث عنها. إن هذه التدخلات الموسوعية التي يأتي بها المترجم - عادة- ليجلب أنظار القراء إليه قد تنقلب على صاحبها فتُنبئ عن ضعف في كفاءته الثقافية أو اللغوية. مثل هذه الحواشي يصدق عليها قول الباحثة "موريّاس"(Morillas) (٢٠٠٦) "إن المترجم يود أن يقول من خلال حواشيه: أنا هنا، سوف أشرح لكم ما لا تعرفونه. لا تنسوا أنكم تقرأون عملا مترجما. إن الترجمة الحرفية قد لا تكون كافية، ففي بعض الأحيان - كما في هذه الحالة- من الضروري إضافة بعض المعلومات التي لا تعرفون عنها شيئا. ومن المحتمل أنكم حتى لو قرأتم هذا الكتاب في نصه الأصلي فلن تعرفوا كذلك المعلومات التي أضيفها هنا".

<u>حواشي ذات مدلولات ثقافية أو لغوية</u>

يصعب على قارئ الترجمة تأويلها، ويدخل في ذلك الإشارات الثقافية أو اللغوية المبهمة التي يحتوي عليها النص الأصلي، ويكون بمقدور القارئ الأصلي التعرف على مدلولها، بينما قد يصعب على قارئ الترجمة إدراك كنهها، نظرا للاختلاف الثقافي واللغوي. ففي المثال التالي مثلا نرى أن المترجم صادف لفظ "غيلان" مدلولها معلوم لدى القارئ الأصلي، لكنه لم يجد لها مكافئا مناسبا فنسخها كما وردت "los gul"، ثم تولى شرحها في الحاشية:

"... وقد امّحت رسومها وطمست أعلامها، وخفيتْ معاهدها، وغيرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأُنس، وخرائب منقطعة بعد الحُسن، وشعابا بعد الأمن، ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان..."

"La calamidad ha trastocado todo, y lo que fuera morada del hombre ahora es un árido páramo, y el otrora escenario de tratos y afectos ha pasado a ser pedregal siniestro, horrendas pilas de enrona lo que fuera belleza, escombreras dispersas la hermosura de antaño, barrancos pavorosos los entonces sitios seguros; son ahora refugios de lobos, lugares en los que se escucha la melopea de los *gul*[1]." (279-281)

[1]. Los *gūl* son monstruos fabulosos que, según la mitología árabe, poblaban los lugares desiertos y, especialmente, los caminos, en los que hacían perder el rumbo a los viajeros, a veces encendiendo fuegos con los que atraerlos, para después devorarlos.

<u>حواشي ذات مدلولات ثقافية أو لغوية</u> تتيه أثناء عملية الترجمة. وهذا النوع أكثر أنواع الحواشي وجاهة، وأقلها إثارة للجدل، حيث يدخل فيه شرح بعض الكلمات التي لا تفي فيها الترجمة بالغرض، ومن ذلك عدم وجود مقابل تام للكلمة في اللغة الهدف، كما هو الحال في ترجمة المشترك اللفظي. فالتكافؤ اللغوي بين اللغات المختلفة ليس دائما حاضرا، فكثيرا ما تواجه المترجم كلمات لا يجد لها مكافئا مقبولا في اللغة الهدف، وعندئذ يصبح تدخله ضروريا. في المثال التالي اختار المترجم " poetas dialécticos" كمكافئ لـ"شعراء أهل الكلام" على الرغم من وجود مكافئ آخر اعتبره أقل دقة وهو ما تولى شرحه للقارئ في حاشية سُفلى:

"وكثيرا ما يُصرّف شعراء أهل الكلام هذا المعنى في أشعارهم، فيخاطبون المرئي في الظاهر خطاب المعقول الباطن..."

"Muchas son las veces en que los poetas dialécticos[2] han traído y llevado este concepto en sus poesía, dirigiendo a lo visible y exterior el discurso propio de lo inteligible e interior." (35)

[2]. La traducción "dialéctico" es obligada por falta de algo mejor, preferible a "escolásticos", que queda muy alejada del sentido original. El original dice *ahl-al-kalām*, que podría traducirse siguiendo a Malek Chebil (*L´Islam et la raison*, ed. Perrin, 2005, pág. 59) por "teólogos especulativos". El concepto de dialéctica es, con todo, un poco para el siglo XI, cuánto más el de dialéctica laica.

أما فيما يتعلق بتدخلات المترجم كمؤلِّف (مفاتيح الترجمة)، فتتمثل في تلك الحواشي التي تتعلق بالمضمون وبعملية الترجمة في حد ذاتها، ويعلن فيها المترجم مسؤوليته عن الترجمة، ويحاول تبرير البعض من اختياراته الترجمية مقارنة مع ترجمات أخرى، أو تتعلق باختلاف بعض المفردات

من تحقيق إلى آخر، أو يبدي فيها رأيه تعليقا على بعض مقاطع النص الأصل. ويمكن من خلال هذا النوع من الحواشي التعرف على الصعوبات التي تواجه المترجم أثناء عملية نقل النص. فأمام الخوف من سقوط أحد مدلولات النص، يشرع المترجم في وضع حاشية يحاول من خلالها التخفيف من حدة هذا السقوط. في المثال التالي يبرر المترجم اختياره ترجمة مفردة معينة نتيجة لاختلاف بعض التحقيقات السابقة حولها:

"وأحدث ذلك ما شاهدناه بالأمس من كلف المظفّر بن عبد الملك بن أبي عامر بواجد، بنت رجل من الجنّانين حتى حمله حبه أن يتزوجها..."

"Lo más reciente al caso es lo visto ayer mismo con Al-Muazzafar Abdalmalik ibn Abi Amir y su pasión por Wajid, la hija de un jardinero[9] a la que profesó un amor que lo llevó a casarla." (21)

[9]. Las lecturas de esta palabra son diversas: la hija de un quesero, la hija de un jardinero (adoptada por IA). Levi Provençal (ALAND XV, 350) propone ŷabā'īn "recaudadores", lo que parece aceptable. El ms. tanto podía decir "quesero" (ŷabbānīn) como "jardinero" (ŷanānīn). Me inclinopor jardinero por la tonta razón de que quizás sea la profesión que mejor explicaría el hecho extraño de que un príncipe entrase en relación con la hija de una persona de modesta condición. Sospecho, por otro lado, que el autor, al citar la profesión del padre, ha querido contraponer la humilde condición familiar de la dama y los ardores amorosos que provoca en tan altas esferas.

الترجمة مضموناً

لقد وُفقت الترجمة إلى حد كبير في نقل مضامين ومعاني النص الأصل، وإن لم تبلغ حد التميز المأمول. فالمتمكن من اللغتين العربية والإسبانية يتفطن بسرعة إلى أن الطريقة التي اتبعها المترجم تراوح بين الترجمة الحرفية والتفسيرية الدلالية (Paraphrase). ففي أكثر من موضع نرى أن المترجم يحاول، في حدود القيود النحوية والدلالية للغة الهدف، أن يعيد تقديم المعنى السياقي الدقيق للمؤلف بصياغات جديدة هي أقرب إلى الشرح والتأويل منها إلى الترجمة. ففي المثال التالي من الصفحة ٤٤٧ نجده يترجم:

"وإنما اقتصرت في رسالتي على الحقائق المعلومة"

"En esta epístola me he ceñido a aquellos hechos que son de común conocimiento"

حيث كان عليه ترجمة النعت "معلومة" بنعت آخر وهو "consabidos" عوض شرحه. وفي الصفحة (٢٣) مثلا يترجم:

"وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا"	"Las gentes discrepan sobre la esencia del amor asunto sobre el cual se ha hablado y porfiado sin fin"

وإذا ما أردنا ترجمة هذا المقطع مرة أخرى إلى اللغة العربية نلاحظ أن المترجم أضاف كلمة "sin fin" والتي تعني "إلى ما لانهاية" والتي لا وجود لها في النص الأصل، وذلك لأنه لم يهتد إلى المكافئ اللغوي المناسب على مستوى المفردات والمعاني، فترجم "قالوا وأطالوا" بـ "se ha hablado y porfiado sin fin" وهو في الواقع شرح لهذه العبارة العربية وكان عليه ترجمتها على النحو التالي:

"Las gentes discrepan sobre la esencia del amor, sobre la cual se ha discurrido largo ytendido."

إن اللجوء إلى مثل هذه الطريقة التأويلية التفسيرية في الترجمة تجبر المترجم على إدراج بعض الإضافات البسيطة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية "إضافات سياقية" والتي وإن كان الغرض منها تأمين وضوح الرسالة لدى القارئ ولا تغير بشكل كبير في المعنى المقصود في النص الأصل، فإنها تبقى مذمومة في كل عمل ترجمي يسعى إلى بلوغ التميز. ومن بين الأمثلة الكثيرة ما نجده أيضا في الصفحة (١٣) حيث ترجم:

"وقد كثرت الأخبار عنهم"	"... y las historias sobre ellos corren por doquier"

ففي هذا المثال نلاحظ أن المترجم اختار فعل "corren" ويعني "انتشر و ذاع" إلا أنه كان مجبرا على إضافة التعبير "por doquier" والذي يعني "في كل كان" ولا وجود له في النص الأصل، وكان عليه ترجمة هذا المقطع على النحو التالي:

"y las historias sobre ellos abundan".

وتظهر الطريقة التفسيرية التي انتهجها المترجم خاصة على المستوى المعجمي وذلك في تلك المفاهيم والمفردات المتصلة اتصالا مباشرا بمختلف أبواب "طوق الحمامة" والتي تعرض صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه والتي يمكن اعتبارها هنا ذات طابع اصطلاحي أكثر منها معجمي. ففي "باب السُلو" مثلا يترجم اسم الفاعل "المتصبّر" بعدة طرق فهو:

- "quien se resigna haciendo gala de paciencia" (٣١٧)
- "quien soporta su desdicha con paciencia" (٣١٧)
- "el que hace gala de gran paciencia" (٣١٩)
- "quien se refugia en la paciencia" (٣١٩ -٣٣٩)
- "quien se arma de paciencia buscando consolarse" (٣٣٩)
- "quien se apechugue con paciencia" (٣٣٩)

لقد كان على المترجم أن يستخدم منذ البداية عبارة "pacienzudo" وهي المكافئ اللغوي لكلمة "المتصبّر"، ويزداد الأمر غرابة إذا ما علمنا أنه في الصفحة (٣٣٩) يستخدم هذه المفردة بنفس المعنى الذي أتت به الشروح.

وطريقة الشرح التي اعتمدها المترجم في أكثر من موضع تسيء إلى روح الترجمة أكثر مما تخدمها ولا تزيد القارئ سوى تشويش وإرباك. وقد يُعزى ذلك حسب رأينا إلى ثغرات في المعجم الشخصي للمترجم، على الرغم من أن اللغة المستخدمة في الترجمة جيدة جدا.

إن تعدد وكثرة المفاهيم المعبّرة عن صور الحب ومعانيه وحالاته ومظاهره هي من بين أعسر المشاكل التي تطرحها ترجمة كتاب مثل كتاب ابن حزم، والذي يتسم بتحاليل ذات بعد فلسفي أحيانا ووجداني نفسي. ولذا من واجب المترجم الحفاظ على مبدأ وحدة المصطلح، وهو من أهم معايير تقييم كل عمل ترجمي، وعدم تغيير المفاهيم من موقع إلى آخر لتفادي إحداث تشويش في ذهن القارئ. وللأسف أخلّ المترجم بهذه القاعدة الأساسية في الحفاظ على روح النص الأصل إذ نراه يغير وبدون مبرر المكافئ اللغوي لمفردة واحدة تتكرر أكثر من مرة في النص الأصل، فنراه مثلا يترجم لفظ "الهجر" كل مرة بمكافئ لغوي مغاير:

- "retraimiento" (١٧)
- "destierro" (١٨٥)
- "separación" (١٩٣)
- "desamor" (٢٠٥)
- "esquivez" (٢١٣)
- "apartamiento" (٢٦٥)
- "rechazo" (٢٧٥)
- "desapego" (٢٧٥)

وعلى عكس ذلك نراه يستخدم مكافئا لغويا واحدا لمفردات عديدة حتى وإن تقاربت في معانيها، مما قد يدل ربما على قصور المترجم في نحت إسباني للمفاهيم الواردة في النص الأصل. فعلى سبيل المثال استخدم لفظ "pasión" كمقابل للمفاهيم العربية التالية:

- العشق (٢٧- ٢٩- ٦٧- ١٢٧ - ١٨٥)
- الوجد (٣٩- ١١٩- ١٤٣ - ١٤٩ - ١٦١)
- الحب (١٢٧- ١٣٣ - ٣٦٥)
- الهوى (١٢٧ - ٣٦٩ - ١٨٧ - ٣٩٣)
- المحبة (٢١٥)

ففي لسان العرب نرى أن "العشق" هو "فرط الحب" و "الوجد" هو "الحب الشديد" و"الهوى" هو "محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه". وهكذا حين نستعرض هذه المفردات نراها تختلف في دلالتها رغم أنها جميعها تؤدي المعنى في عمومه، ذلك أن "شرط الترادف الحقيقي هو الاتحاد التام في المعنى. والحكم في هذا مرجعه أولا وأخيرا إلى الاستعمال، لا إلى ما يتكهن به بعض أصحاب المعاجم" (أنيس: ١٩٩٢، ص ٢١٣).

من جانب آخر يمكننا أن نقول نفس الشيء بالنسبة إلى المفردات الإسلامية. فعبارة "رحمه الله" مثلا وردت بصيغ مختلفة، أحيانا لا تؤدي بشكل كامل المراد بها في النص الأصل:

- "Dios lo haya perdonado" (١٢٩ - ٣٣)
- "Dios lo haya perdonado" (٥٧)
- "Dios se haya compadecido de él" (١٢٩ - ٦٩)
- "Dios se haya apiadado de él" (١٢٩ - ٧٣- ١٢٣)
- "Dios lo tenga perdonado" (١٤١ - ٩٣)
- "Dios haya tenido misericordia de él" (١٨٧)

ونفس الشئ يحصل مع عبارة "صلى الله عليه وسلم" و "رضي الله عنه" حيث ترجمها بصيغ مختلفة وكيف ما شاء. في حين حافظ على عبارة "الله عزّ وجلّ" (Entronado y ensalzado) ولم يغيّرها من بداية العمل إلى نهايته.

أما فيما يخص دقة ترجمة بعض المفردات فإن المترجم لم يوفّق إلى ذلك بالكامل، فها هو يخلط ما بين "رسول" و"نبي"، فكلما وردت عبارة رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) إلا وترجمها بـ "Profeta de Dios" أي "نبي الله"، وكان عليه ترجمتها بـ "Enviado de Dios" أو "Mensajero de Dios"، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. والغريب في الأمر أنه في الصفحات (٣٧٥ - ٣٩٣ - ٤٠٣) يستعمل مفردة "Enviado" كمكافئ لغوي لـ"رسول".

ويتكرّر الأمر مع مفاهيم أخرى مثل "أمير المؤمنين" حيث ترجمها بـ "Comendador de los creyentes"، وهذه الكلمة تعني في اللغة الإسبانية رتبة عسكرية مرموقة في القرون الوسطى. نجد هنا أن المترجم واجه مشكلة حقيقية للتكافؤ يبدو أنها غير

قابلة للترجمة، ويرتبط هذا الموضوع بمشكلة استحالة أو عدم قابلية ترجمة (untranslatability) تلك الكلمات من اللغة المصدر إلى اللغة المنقول إليها في حالات التباعد الثقافي بين اللغتين. أحيانا تصادف المترجم مشكلة إيجاد معاني بعض الكلمات التي لا تتواجد في ثقافة أو بيئة معينة. وأحد الحلول المقترحة لعلاج مثل هذه المشكلة أن يلجأ المترجم إلى أسلوب النسخ الصوتي (transliteration)، أي كتابة الكلمة في اللغة المنقول إليها حسب طريقة نطقها في اللغة المصدر. ومن الممكن إعطاء تفسير لهذه الكلمة بين قوسين أو في هامش الصفحة. وفي المثال الذي يعنينا كان على المترجم القيام بنسخ صوتي لكلمة "أمير" وهي دارجة في اللغة الإسبانية سواء الحديثة أو القديمة، واستعمال كلمة "Emir"، وهو بالفعل ما فعله بداية من الصفحة (٣٣١) حيث يستبدل الكلمة الإسبانية بما كنا قد أشرنا إليه.

إن طريقة الترجمة الشارحة أو التفسيرية التي اتخذها المترجم كمنهجية للعمل ومحاولة محاكاة بعض تراكيب النص العربي في سعي للحفاظ على السجع الداخلي للجملة سيكون لهما الأثر السلبي على أسلوب النص المترجم، فإذا كان النص العربي يتميز بالاقتضاب والكثافة والدقة والسلاسة، فان النص المترجم اتسم في أسلوبه أحيانا بالإسهاب المفرط الذي يجعل المتلقي يعيد القراءة من جديد لفهم المراد من المقطع. ففي هذا المثال نلاحظ أن المترجم، لإتباعه الطريقة التي أشرنا إليها، يجعل من فهم الجملة أمرا عسيرا على المتلقي العادي:

"والسلُوّ المتولد من الهجر وطوله إنما هو كاليأس يدخل على النفس من بلوغها إلى أملها، فيفتر نزاعها ولا تقوى رغبتها"

"El olvido que nace del rechazo prolongado no es más que la desesperación que entra en el alma por no poder colmar sus anhelos, algo que deja en carne viva la pugna que anida en ella y mina la voluntad de su dueño" (315)

وحسب رأينا كان على المترجم أن يترجم هذا المقطع بمثل ما نقترحه:

"El olvido nacido de la desunión prolongada es como la desesperación que altera el alma al no poder ésta colmar sus anhelos; así, languidece el vigor y se afloja la voluntad de su dueño."

الخلاصة

إن المتفحص للترجمة التي بين أيدينا يلاحظ أن المترجم قد وُفق إجمالا في ترجمة نص عربي كلاسيكي يتّسم بغزارة المفاهيم والمصطلحات وسلاسة الأسلوب طورا وتعقيداته طورا آخر، إضافة إلى ما يتضمنه من حوالي مائتي قصيدة، واجتهد في الالتزام بنقل مضمون الكتاب من اللغة العربية إلى الإسبانية وحتى في نقل البعض من صوره البلاغية، ولم ينحرف في ترجمته عن النص الأصل. إلا أن بعض الهنات، خاصة من ناحية دقة ترجمة

المفردات وعدم التقيد بمبدأ توحيد المصطلح داخل النص المترجم أدخل ارتباكا واضحا في ترجمة المفردات الإسبانية، العادي منها والاصطلاحي. إن اللجوء إلى ترجمة دلالية أو تفسيرية في الكثير من الحالات كان له الأثر السلبي في الحفاظ على سلاسة أسلوب النص الأصل. هذا كله جعل هذه الترجمة لا ترقى لتكون ترجمة مثلى تفوق بتميزها الترجمة الأولى لكتاب "طوق الحمامة" التي أنجزها المستعرب "أميليو غارثيا غوميث". وخلاصة القول فإن هذه الترجمة الإسبانية لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم، وإن كانت ليست الترجمة الأولى إلى هذه اللغة، تساهم في نقل الإبداع وتبادل الثقافات بين العالمين العربي والإسباني. والمترجم إذا كان قد استحق أجر الاجتهاد فإن أجر الصواب لم يُوفق إليه بالكامل.

شكر وتقدير

يتقدم الباحث بالشكر والتقدير لمركز بحوث كلية اللغات والترجمة، وعمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود على الدعم المادي المقدم لهذا البحث .

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن منظور. لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، (١٩٨١م).

إبراهيم، زكريا. ابن حزم الأندلسي. المفكر الظاهري الموسوعي، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، (١٩٦٦م).

أنيس، ابراهيم. دلالة الألفاظ، ط ٧، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٩٢م).

إيكو، امبرطو. الأثر المفتوح، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، (٢٠٠١م).

بنعبد العالي، عبد السلام. في الترجمة، ترجمة كمال التومي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، (٢٠٠٦م).

حسن، محمد عبد الغني. فن الترجمة في الأدب العربي، ط ٢، الإسكندرية: دار المستقبل، (١٩٧٦م).

مكي، الطاهر أحمد. دراسات عن ابن حزم وكتابه "طوق الحمامة"، القاهرة: مكتبة وهبة، (١٩٧٧م).

عبود، عبده. هجرة النصوص. دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، (١٩٩٥م).

العيسوي، بشير. الترجمة إلى العربية. قضايا وآراء، ط ٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ، (٢٠٠١م).

القاضي، محمد. "الاستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاث نماذج: خوان أندريس – غاينغوس– ريبيرا"، التاريخ العربي، عدد ١٦، (٢٠٠٠م).

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad16partie8.htm (15/9/2011)

كارديك، لويس. الموريسكيّون والمسيحيّيون. المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠)، تعريب عبد الجليل التميمي، تونس: منشورات مجلة التاريخ المغاربي وديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)، (١٩٨٨م).

لوبيث بارالت، لوثي. أثر الإسلام في الأدب الإسباني. من خوان رويث إلى خوان جوتيصولو، ترجمة حامد أبو أحمد وعلي البمبي، القاهرة: مركز الحضارة العربية، (٢٠٠٠م).

ثانياً: المراجع الأجنبية

Ibn Hazm, A. A. *El collar de la paloma (El collar de la tórtola y la sombra de una nube)*, trad. y ed. lit. Jaime Sánchez Ratia, Madrid: Hiperión, (2009).

Ibn Hazm de Córdoba. *El collar de la paloma*, trad. e introd. Emilio García Gómez, Madrid: Alianza, (2010).

Morillas, E. "N. de la T.", *El trujamán. Revista diaria de traducción*.
http://cvc.cervantes.es/trujaman/anteriores/junio_05/30062005.htm (12/09/2011).

Newmark, P. *Atextbook of translation*, (London, 1988), trad. Virgilio Moya Jiménez. *Manual de traducción*, Madrid: Cátedra, (1995).

Bensoussan, A. *Confessions d'un traitres. Essai sur la traduction*, Rennes: Presses Universitaires, (1995).

Castro, A. *La realidad histórica de España*, México: Porrúa, (1954).

Donaire, M. L. "(N. del T.): Opacidad lingüística, idiosincrasia cultural", en M. L. Donaire y F. Lafarga (eds.), *Traducción y adaptación cultural: España-Francia*, Oviedo: Universidad de Oviedo, (1991), 79-91.

Gómez Renau, M. "Influencia del Adab en la prosa literaria y la cuentística castellana", *Anaquel de Estudios Árabes*, 11, (2000), 21-331.

Reading In the Second Spanish Translation of "Dove Collar" By Ibn Hazm

Khemais Jouini

Associate Professor, King Saud University / Université de Manouba
Department of Modern languages and Translation – Spanish Program
khemais_jouini@yahoo.es

(Received 3/1/1434H; accepted for publication 6/5/1434H)

Keywords: "Dove Collar", Ibn Hazm, 2nd Spanish translation, analysis, procedures, decisions, influences, translation process.

Abstract. This piece of research aims to study the translation of the book "Dove Collar" written by Ibn Hazm of Andalusia. The analysis is carried out throughout the procedures undertaken by the translator. It seeks to identify the decisions taken regarding the multiple possible meanings of the source text and the other available alternatives to express these meanings and their impact on the entire translation process. The first section of the current study provides the translated work and displays the various accompanying circumstances of its translation. In the second section, though, the good selection of this work being a model of cultural and intellectual blending between the Arab-Islamic civilization and the Western Spanish one is discussed. In the third section we study the variety of translations of the same text based on the current work. In the fourth section, the translation footnotes are being addressed as being a space for exploring the translator's personality and put to the test his objectivity and impartiality in dealing with the text in question. The last section is concerned with the analysis of the content in terms of actions and decisions taken by the translator from a methodology perspective via a comparison-contrast between the source and target texts.